فائدة ، ولا تعودُ عليهم منها عائدة ، بل يسمعون عبارات قدحفِظوها ومَلَّوها حتى تركوا التفكيرَ فيها ، فأصبحت فى نظرهم لغواً من القول (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ) وهل تظن فرقا بين من يسرقُ أموالَ الناس ومن يَسْرِقُ أوقاتَهم ؟ اللهم إنه لا فرق إلا أن الأوَّلَ يجنى على المالِ والثانى يجنى على رأسِ المال ، فان الوقتَ مصدرُ كل خيرٍ فى الحياة الراهنة والحياةِ القابلةِ ، وإن الدنيا مزرعةُ الآخرة ، لما ذا نُعْنَى بالخطبة الأولى فنضعُ لها كلَّ جمعةٍ نَصًّا جديداً ولا نُعْنَى بالثانية فنلتزم نصا مَجَّتْه الأسماع ونبذته الطباع ، إنه لا داعي لذلك إلا الجهل والكسل ، فالجهل بصناعة الخطابة أقعدنا عن صنعِ الخطبتين ، وان أجهدنا الذهن ، واعْتَصَرْنا الفكرَ فَقُصَارى الجَهْدِ ، وغايةُ الوُسع خطبةٌ واحدةٌ نؤلفها فى أسبوع ، والكسلُ قعد بالذين يلتمسون دواوين الخطباء عن أن يَحْفَظُوا خطبتين فاكْتَفَوْا بواحدةٍ لكل جمعة واتخذوا الثانية نصا لِزَاما مدى حياتهم ، بل ربما كان هذا إرْثَهم عن آبائهم وأجدادهم بل أسلافِهم الأولين ، وربما ورَّثوا أبناءهم تُرَاث أجدادهم (إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ (١) وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ)

فَلْيُقْلِع الخُطَبَاء عن هذه العادة الممقوتة ويَسْلُكوا فى الثانيةِ ما سلكوه فى الأولى حتى يكونُ آخرَ ما يَقْرَعُ الأسماعَ من وعظِهم كَلِمٌ حديث و بِدْعٌ طَرِيف مما عملته أيديهم فَيَحْمَدُ لهم الناسُ ما صنعوا و يشكرون لهم ما قدموا والله المُوَفِّق للسداد

نماذج فى صناعة الخطب

عَرَّفْناكَ أَن مادةَ الخطبة (١) موضوعٌ متخير وتفكيرٌ فيه يوضح المنافع أو يبين المضار (٢) وآيات بينة وأحاديث صادقةٌ تلائم الموضوع . أما تخيرُ الموضوع والتفكيرفيه ، فأساسه حكمةُ العقل ، وسلامةُ الذوق ، وأما الآيات فدونك كتابَ

(١) طريقة

الله فيه الغُنْيَةُ إن كنت له قارئا ، ولآياته مُتَدَبِّرا ، وأما الأحاديث فلا يميزُ صحيحها من عليلها إلا الناقدُ البصير ، ولا يقفُ على ما يرتبطُ بموضوعه منها إلا الخبيرُ بها . وقد وفّق اللهُ صديقنا المفضال الأستاذ الشيخ محمد العدوى المدرسَ بالقسم العالى بالأزهر فوضع كتابه « مفتاح الخطابة والوعظ » الذى جمع فيه الآيات والأحاديث ـ المقبولة ـ المتعلقة بكل موضوع من موضوعات العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق مما أغنى المرشد عن طويل البحث ، وسَهّل له طريقَ الوعظ ، وسنتخذ منه آيات وأحاديث لبعض ما نَضَعُه من النماذج لينسُج الخطباء على مِنْواله ، إن لم يوَفّقوا لمثاله

النموذج الأول

﴿ فى حسنِ المعاشرةِ بين الزوجين ﴾

الآيات الواردةُ فى الموضوع

(وَعاشِرُوهُنَّ بالمعروفِ فان كرِهْتُمُوهُنَّ فعسى أنْ تَكْرَهُوا شيئاً وَيَجْعَلَ اللهُ فيه خيراً كثيراً ـ ١٩ النساء ـ وإذا طلّقتم النساء فبلغْنَ أجلَهن فأمسكوهن بمعروفٍ أو سَرِّحوهُنَّ بمعروفٍ ، ولا تُمْسِكوهن ضراراً لِتعتدوا ، ومن يفعلْ ذلك فقد ظلم نفسَه ، ولا تتخذوا آياتِ الله هُزُواً [1] واذكروا نعمةَ الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتابِ والحكمةِ يعظُكم به ، واتقوا الله واعلموا أن الله بكلِّ شئ عليم ـ ٢٣١ البقرة ـ وَلَهُنَّ مثلُ الذى عليهن بالمعروفِ وللرِّجالِ عليهن درجةٌ [2] والله عزيزٌ حكيم)

الأحاديثُ الواردةُ فيه

عن أبى هريرةَ رضى اللهُ عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ « أكملُ المؤمنين إيماناً أحسنُهم خُلُقاً وخيارُكم خياركم لنسائهم » رواه الترمذى وابن حِبّانَ فى صحيحه

(١) تفيد الآية أن الذى لم يعمل بكتاب الله ولم يقف عند حدوده فقد اتخذ آيات الله هزوا

(٢) درجة الرياسة كما يدل عليه قوله تعالى «الرجال قوامون على النساء»

عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « خيرُكم خيرُكم لأهله وأنا خيرُكم لأهلى » رواه ابن حبان فى صحيحه

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « استوصُوا بالنساء خيراً فان المرأةَ خُلِقَتْ من ضِلع ، وإن أعوجَ ما فى الضِّلَعِ أعلاه ، فاذا ذهبتَ تقيمُه كسرتَه ، وإن تركتَه لم يزلْ أعوجَ فاستوصوا بالنساء » رواه البخارى ومسلم

عن مُعَاوِيَةَ بن حَيْدَةَ رضىَ اللهُ عنه قال : قلت : يارسولَ الله ماحقُّ زوجةِ أحدِنا عليه ؟ قال « أن تُطْعِمَها إذا طَعِمتَ وتكسوَها إذا اكتسيتَ ولاتضربِ الوجهَ ولا تُقَبِّح ولا تهجُر إلا فى البيت » رواه أبو داود

عن عمرو بن الأحوص الجُشَمى رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ فى حَجَّة الوَداع يقول بعد أن حمِد الله وأثنى عليه وذكّر ووعظ ثم قال « ألا واستوصُوا بالنساء خيراً فانما هن عَوَان [1] عندكم ليس تملكونَ منهنَّ شيئا غير ذلك إلا أن يأتينَ بفاحشةٍ مبيِّنة ، فان فعلوا فاهجُروهن فى المضاجع واضربوهن ضرباغير مُبَرِّح ، فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ، ألا إن لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا : فحقكم عليهن أن لا يُوطِئْنَ فراشكم من تكرهون ، ولا يأذَنَّ فى بيوتكم لمن تكرهون . ألا وحقُّهنَّ عليكم أن تحسنوا اليهن فى كسوتهن وطعامهن » رواه ابن ماجه والترمذى وقال : حسن صحيح

وروى الحاكم من حديث مُعاذٍ رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قالَ لو أمرتُ أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجدلزوجها من عِظم حقه عليها ، ولا تجدُ امرأةٌ حلاوةَ الإيمان حتى تُؤَدِّيَ حق زوجِها ولوسألها نفسَها وهي على ظهر قَتَب [2] »

عن أبي هريرةَ رضىَ الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إذا دعا الرجلُ امرأتَه لفِراشِه فلم تأته فبات غضبانَ عليها لعنتها الملائكةُ حتى تُصْبح » رواه البخارى ومسلم

(١) أسيرات (٢) القتب . الاكاف الصغير الذى يوضع على سنام البعير

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « لايحلُّ لامرأة أن تصومَ وزوجُها شاهد إلا باذنه ولا تأذنُ فى بيتِهِ إلا باذنه » رواه البخاري

البحثُ العِلْمِيُّ فى الموضوعِ :

يتحقق حسنُ العشرة بما يأتى :

(ا) — من جانب الزوج يكون :

(١) بالانفاق على زوجته من غير تقتير ولا إسراف
(٢) بالعدل بينها و بين غيرها من الزوجات أو القريبات إن كُنَّ
(٣) بالابتعاد عن هجرِها و إيذائها بلامُبَرِّر ، و بتركِ الغَيْبَةِ عنها خارجَ المنزل إلى ساعةٍ متاخرة من الليل بلا سببٍ مشروع
(٤) بألا يُمْسِكها تحت يده ضِراراً ليعتديَ عليها
(٥) بإرشادها إلى طرق الخير وحثها على سلوكِها والابتعادِ عن مواطن الشر
(٦) بالا يمنعها من زيارة أهلِها فى الأوقات المناسبة

(ب) — من جانب الزوجة يكون :

(١) بطاعته فى كل معروف ومن ذلك إجابتها له إذا دعاها إلى الفراش
(٢) بالنظافةِ فى نفسِها وأولادِها وخدمِها و بيتِها
(٣) بالمحافظةِ على نفسها و بناتها ومالِه وسرِّه
(٤) بالاحسان فى تدبيرِ المنزل وتربيةِ الأولاد والقيام على أخلاقهم
(٥) بعدم إرهاقِه فى طلبات الملابس وأدوات الزينة
(٦) بألاّ تُدخل أحدا يكرهه منزله بلا إذنه
(٧) بألاّ تخرج من بيته بدون استئذانه
(٨) بأن تواسِيَه بمالِها إن انتابَتْه نائبة أومسته عُسْرَة

(ج) — من جانب كل منهما يكون :

(١) باستعمال كلٍّ منهما الأدبَ مع صاحبه فى المحادثةِ والمحاورة وتَجَنُّبِ بذئ الكلام وفاحش القول

(٢) يسعى كل منهما فى دفع ما قد يحل بالآخر من مرضٍ أو بلاء فى المال أو الأهل أو تخفيفه

(٣) بالصبر على ما قد يكون فى خلق الآخر من انحرافٍ مع السعي فى مداواته وعدم المسارعة إلى الخصام أو الفراق

(٤) عمل كل ما من شأنه أن يجلب سرورَ الآخر ومودته مادام ذلك فى دائرة المشروع والمعروف فلا يَرى إلا جميلا ، ولا يسمعُ إلا حَسَناً ، ولا يَشُمُّ إلا طيباً

ثمراتُ حُسْنِ العشرة هى ما يأتى :

(١) المحبة بين الزوجين وهى أساس السعادة المنزلية

(٢) الصحةُ في الجسم والراحةُ فى البال والاقتصادُ فى المال

(٣) تخلُّقُ الأولاد بالأخلاق الطيبة وتَعَوُّدُهم الأعمالَ الصالحة

(٤) الرغبةُ فى الاتصالِ بهذه الأسرة بمصاهرتها والمصاهرة اليها

(٥) التعاونُ على شئون الحياة

(٦) صلاح الأمة بصلاح الأسرة التى هى وحدتها ومثال مُصَغَّر منها

الصَّوْغُ الخطابي أو الخطبة

الحمدُ لله جعلَ السعادةَ المنزليَّة ، فى القيامِ بواجب الزوجيةِ ، وجعلَ صلاح الأمَّة فى صلاحِ الأسرة ، فالأمةُ المكوَّنةُ من أسرة صالحة ، ذاتِ أخلاقٍ عالية ، وعَلاقاتٍ طيبة ، أمةٌ راقيةٌ ، جَدِيرةٌ بالمكانةِ السامية ، والكلمةِ النافذة ، أشهد أن لا إلهَ إلا اللهُ جعلَ كلا من الزوجين سَكَناً لصاحبه ، يُفْضِى إليه بسر نفسِه ، ويُلْقِى إليه زِمامَ أمرِه ، ويَطْمَئِنُّ اليه فى كلِّ شأنه (وَمِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ

مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لتسكنُوا اليها وجعلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً ورحمةً ، إن فى ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكَّرون) وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه ، وصَّانا بالنساء خيرا لضعفِهن ، وكان أحسنَنَا قياماً بحقوقِهن ، فصلواتُ الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ، ومن سلك طريقه ، واقتفى أَثَرَه

(أما بَعْدُ) فان خَيْرَ البيوت ماعُمِّرَ بحسن العِشْرَةِ ، والألفةِ والمحبةِ ، والمودةِ والرحمة ، وشَرَّها ماساءت فيه العلاقات ، وتقطَّعت بين أفرادِه الصِّلات ، وما حُسْنُ العشرةِ إلا بمراعاةِ كلٍّ من الزوجين حقَّ صاحبه ، وإخلاصِه فى القيامِ بواجبه . فيامَعْشَرَ الأزواج أنفقوا على زوجاتِكم مما رَزَقكم الله ، وحذار أن تُقَتِّروا عليهن و تُسرفوا ، فان ذلك مَفْسَدَةٌ للأخلاق ، ومَجْلَبَةٌ للشقاق (لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِه ، ومن قُدِرَ عليه رِزْقُه فَلْيُنْفِقْ مما آتاه اللهُ ، لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إلا ما آتاها سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً) يامَعْشَرَ الأزواج : اعدِلوا بين الزَّوْجاتِ ، إن كُنَّ متعددات ، ولاتُفَضِّلوا بعضَهن على بعضٍ فى مَبيتٍ أونفقةٍ ، أومَسْكَنٍ أو كسوة ، لئلا تُشْعِلوا بينهن نارَ العِداء ، فَيُفْسِدْنَ أمرَ بيوتِكم ، ويورِّثْنَ الأحقادَ أولادَكم ، فيكونوا أعداءً متباغضين ، لاإخوةً متحابين متعاضدين . إياكم وهَجْرَ الزوجات بلا سبب ، أو إيذاءَهن بلا مبرر ، فان ذلك مُوحِشٌ لقلوبهن ومُنْبِتٌ للعداوة في نفوسِهن (فانْ أَطَعْنَكُمْ فلا تبغُوا عَلَيْهِنَّ سبيلا ، إن اللهَ كانَ عَلِيّاً كبيراً) إياكم والسهرَ خارجَ المنزل إلى ساعةٍ متأخرةٍ من الليل ، وربما كان ذلك فى فجورٍ وفساد ، فان ذلك مُمِلٌّ لقلوبهن ، وأدعى لارتيابهن ، ومُحَرِّكٌ للفتنةِ في نفوسِهن ، وقد يُسَوِّلُ لهن الشيطانُ ما لا تحبون ، ولبناتِكم ما لا تَوَدُّون ، فاعمُرُوا بيوتَكم بحضورِكم ، وآنسوا أهلَكم بحديثِكم ، واملؤوا عيونَهن بأعيانكم . إياكم إذا لم يُرِدِ الله وفاقاً بينكما ، ولم تتلاءمْ طِباعُكما ، ولم يَكُنْ من سبيلٍ لاقامة حدود الله فيكما ، إياكم أن تمسِكوهن فى هذه الحال ضِراراً لتعتدوا عليهن ، وتسلُبُوهُنَّ حقوقهن ، فان ذلكم ظُلْمٌ لنفوسِكم ، ومَضَرَّةٌ بكم ، وقد أذِنَ الله لكم وقتئذٍ فى فِراقهن

(فَأَمْسِكُوهُنَّ بمعروفٍ أو سَرِّحوهن بمعروف ، ولا تُمْسِكُوهنَّ ضِراراً لتعتدوا ، ومن يَفْعَلْ ذلك فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَه ، ولا تَتَّخِذُوا آياتِ اللهِ هُزُواً) وحذارأن تُضَيِّقُوا عليهن فى حقوقهن المشروعة فلا تَمْنَعُوهُنَّ من التصرفِ فى أموالهن ، وزيارةِ أهلهن وأقاربهن ، والذَّهابِ إلى بيوتِ الله ،لسماعِ العِظة واقامةِ الصلاة ، فانكم إن شَدَّدتم فى مُضايقتهن خُشِيَ انفجارُهن ، فلا يَأْتَمِرْنَ بأمر ، ولا يَنْتَظِرْنَ الاذن ، ولا يَقِفْنَ في الخروج عندحَدّ . أرشدوهن إلى كلِّ معروفٍ فعَلِّمُوهُنَّ الدين ، وحَفِّظوهنَّ كتابَ الله المبين ، واسلكوا بهن طريقَ الأخلاقِ الطيبة ، والأعمالِ الصالحة ، وحَذِّروهُنَّ من الشَّرِّ أن يَقْتَرِفْنَه ، ومن الاثم أن يُخَالِطْنَه ، ومن دُورِ اللهو والخَلاعةِ أن يَذْهَبْنَ اليها ويُدَنِّسْنَ نفوسَهن بما احتوت عليها (يا أيُّها الذين آمنوا قُوا أنفُسَكم وأهليكم ناراً وَقُودُها النَّاسُ والحجارةُ عليها ملائكةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللهَ ما أمرَهم ويَفْعلونَ ما يُؤْمَرُون)

أمَّا الزوجاتُ فواجبٌ عليهن إطاعة أزواجهن فى كلِّ معروف ، فلا يُعَطِّلْنَ لهم أمراً ، ولا يُخَالِفْنَ لهم نهياً ، فان دعَوْهُنَّ إلى الفراش فالواجبُ الطاعةُ والامتثال ، لأنَّ المخالفةَ مُوحِشَةٌ للقلوب ، مُوغِرَةٌ للصدور ، مُوجِبَةٌ للنفور ، وعليهنَّ المحافظة على أموالِهم وبيوتِهم وأولادِهم ، ولْيَصُنَّ أعراضَهن وأعراضَ بناتِهن (فالصَّالحاتُ قانِتَاتٌ حافظاتٌ للغيب بما حفظ الله) ولْتَكُنِ النَّظَافَةُ فى مقدِّمةِ ما ترعاه المرأةُ فى بيتها ، ونفسِها وأولادِها وخَدَمِها ، فانَّ النظافة من الايمان ، ونعم هى المَسَرَّة للانسان ، ولْتَكُنْ فى بيتِها حكيمةً مدبِّرة ، غير مُقَصِّرة ولا مسرفة ، ولتكن أُسْوَةً لمن حَوْلَها ، فى حسنِ أخلاقها ، وجميلِ أعمالها ، والمحافظةِ على واجبها ، وإياها أن تكلِّفَ زوجَها ما لا يُطيقُه ،أوتُرْهِقه فى مطعَمٍ أو كسوة ، أو زينةٍ أو بهرجة ، فان ذلك مَتْلَفَةٌ للأموالِ مَفْسَدَةٌ للأخلاق . وإياها أن تُدْخِلَ بيتَهُ من لا يحبه . أو تَخْرُجَ منه بغير إذنه ،أو تَمْنَعَ عنه ثروتها إن قلَّ ماله،أو ساءت حالُه . فان ذلك مما يُثِيرُ العَدَاوَةَ ، ويُفْسِدُ العلاقة

وليُحَافِظْ كلٌّ منهما على الأدبِ فى مخاطبةِ صاحبِه وندِّه ، واستجلابِ محبتِه ووُدِّه ، إن رأى منه انحرافاً فى خُلقِه ، أو شذوذا فى معاملته ، فَليقابل ذلك بالصبر والكلماتِ الرقيقة ، والعبارات اللطيفة ، حتى يَهْدِيَهُ سواء السبيل ، ويسْلُكَ به الصراطَ المستقيم . أيها الناسُ إنَّ حسن العشرة بين الأزواج مَجْلَبَةَ خيرٍ كثير ، ومَدْرَأَةُ شَرٍّ كبير ، ففي حُسْنِ المعاشرة السرورُ والرَّحمة ، فيه الصحةُ فى الجسم ، والراحةُ فى البال ، والاقتصادُ فى المال ، فيه تنبت الذرية الطيبة التى يسعى الناسُ إلى مُصَاهرتها ، والاتصالِ بها ، فيه التعاون على شؤون الحياة ، وحسنُ الصلة بالله ، فيه السعادةُ لقومكم ، والخيرُ لبلدِكم ، لو كنتم تسمعون وتعملون (إنَّ فى ذلك لَذِكْرَى لِمَنْ كان له قلبٌ أو ألقى السَّمْعَ وهُوَ شَهِيدٌ)

روى الترمذى وابن حِبان فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (أكملُ المؤمنين إيماناً أحسنُهُمْ خُلُقاً وخيارُكم خيارُكم لِنِسَائهم)

النموذج الثانى

فى الاصلاح بينَ الناس

(الآيات فى ذلك) (وإنْ طَائِفَتَانِ من المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلوا فأصلحوا بينهما فان بَغَتْ إحْدَاهما على الأُخرى فقاتلوا التى تَبْغِى حتى تفىء[1] إلى أمر الله فان فاءتْ فأصْلِحُوا بينهما بالعدل وأَقْسِطُوا إنَّ الله يُحِبُّ المقسطين (٩) إنما المؤمنون إخْوَةٌ فأصْلِحُوا بين أخَوَيْكُمْ واتقُوا الله لعلكم تُرْحَمُون (١٠) ـ الحجرات)

(لاخَيْرَ فِى كَثِيرٍ من نَجْواهم [2] إلا مَنْ أمرَ بصدقةٍ أو معروفٍ أو إصلاحٍ بين النَّاس ومن يَفْعَلْ ذلك ابتغاء مرضاةِ الله فسوف نؤتيه أجراً عظيما ١١٤ النساء)

(١) ترجع (٢) ناجيته سارررته والاسم النجوى

(وإن خِفْتُمْ شِقاقَ بينِهما فابعثوا حَكَماً من أهلِه وحَكَماً من أهلِها إن يُرِيدَا إصلاحاً يُوَفِّقِ اللهُ بينَهما إن الله كان عليما خبيراً ٣٥ النساء)

(وأصلحوا ذات بينكم [١] وأطيعوا اللهورسوله إن كنتم مؤمنين ١ الأنفال)

(وإنِ امرأةٌ خافت من بَعْلِها نُشُوزاً [٢] أو إعراضاً فلا جُناحَ عليهما أن يُصْلِحا بينَهما صُلْحا والصلحُ خيرٌ وأُحْضِرَت الأنفسُ الشُّحَّ وإن تُحْسِنُوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيراً ـ ١٢٨ النساء)

(الأحاديثُ فى ذلك) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : كلُّ سُلاَمَى [٣] من الناس عليه صدَقة كلَّ يوم تطلعُ فيه الشمسُ ، يَعْدِل بين الاثنين صدقةٌ ، ويعينُ الرجلَ فى دابتِه فيحملهُ عليها أو يرفعُ له عليها متاعَه صدقة ، وتميطُ الأذَى عن الطريق صَدَقةٌ ـ رواه البخارى ومسلم

عن أبى الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ألا أخبرُكم بأفضل من درجةِ الصِّيام والصلاةِ والصدقةِ قالوا : بلى قال : إصلاح ذاتِ البَيْن فان فسادَ ذاتِ البين هى الحالِقَة ـ رواه أبو داود والترمذى وقال : حديث صحيح قال وروى عن النبى ﷺ أنه قال : هى الحالِقَة لا أقول : تَحْلِق الشعرَ ولكن تحلق الدينَ

عن جابر قال : اقتتل غلامان غلامٌ من المهاجرين وغلامٌ من الأنصار فنادى المهاجر أو المهاجرون : يا لَلْمهاجرين ونادى الأنصارُ : يا لَلْأنصار فخرج رسول الله ﷺ فقال : ما هذا ؟ دعوى أهل الجاهلية قالوا : لا يا رسول الله إلا أن غلامين اقتتلا فكَسَع [٤] أحدهما الآخر قال : فلا بأس ولْيَنْصُرِ الرجلُ أخاه ظالما أو مظلوما ، إن كان ظالما فَلْيَنْهَهُ فانه له نَصْرٌ ، وان كان مظلوما فَلْيَنْصُرْه ـ رواه مسلم

(١) مابينكم من الخلاف (٢) بغضا وترفعا (٣) يعنى كل عضو من الأعضاء
(٤) ضرب دبره بيده

عن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ المؤمنُ للمؤمنِ كالبُنيانِ يَشُدُّ بعضُهُ بعضاً

عن النعمان بن بَشِير قال : قال رسول الله ﷺ مَثَلُ المُؤمنِينَ فى توادِّهم وتَرَاحُمِهم وتعاطُفِهم مَثَلُ الجسد إذا اشتكى منه عُضْوٌ تداعى له سائرُ الجسد بالسهر والحُمّى ـ رواه مسلم

وعنه أيضا قال : قال رسول الله ﷺ المُسْلِمُونَ كرجلٍ واحدٍ إن اشتكى عَيْنُهُ اشتكى كلُّه ـ رواه مسلم

البحث العلمى فى الموضوع

الاصلاحُ بين الناس يتناولُ ما يأتى

« « طائفتين أو حِزْبين أو أسرتين

« « الزوجين

« « فردين متخاصمين

ويراعى فى المصْلح

(١) أن يَعْدِلَ بين المتخاصمين

(٢) أن يكونَ الاخلاصُ باعثه على الاصلاح

(٣) أن تكون له مكانةٌ عند المتنازعين

(٤) الانضمام إلى المظلوم إذا أبى الظالم الصُّلْحَ

والاصلاح بين الناس يثمر ما يأتى

(١) إحلالَ الألفةِ مكان الفرقة، واستئصال داء النزاع قبل أن يستفحل

(٢) حَقْنَ الدماءِ التى تراق بين الطوائف المتنازعة

(٣) توفير الأموال التي تنفق للمحامين بالحقِّ وبالباطل ، وتوفير الرسوم والنفقات الأخرى

(٤) تجنُّبَ إنكارِ الحقائق الذى تجرّ اليه الخصومات وترك شهادة الزور التي تَنْفَقُ سوقها فى دورِ القضاء

(٥) تجنب المشاجرات والاعتداءِ على الحقوقِ الذى قلّما يسلم منه متخاصمان

(٦) تفرُّغَ النفوسِ للمصالح بدلَ جِدِّها وانهماكها فى الكَيْدِ للخصوم

(٧) رحمة الله لعبادِه وأجره العظيم للمصلحين والمتصالحين إلى غير ذلك

« الصَّوْغُ الخطَابى أو الخُطْبَة »

الحمدُ لله رغَّبَنَا فى الاصلاح بين المتخاصِمَين ، والقضاءِ على كلِّ نزاعٍ بين طائفتين ، ووعدَنا على ذلك خيره العظيم ، وفَيْضَه العميم « لاخَيْرَ في كَثِيرٍ من نجواهم إلاَّ مَنْ أمَرَ بِصَدقَةٍ أو معروفٍ أو إصلاحٍ بين الناس ، ومن يَفْعَلْ ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيهِ أجْراً عَظِيما » أشهد أن لا إله إلا الله ، بيده مفاتيحُ القلوب ، إن شاء ملأها أُلفةً ورحْمَة ، بعد ما كان بها من عِدَاءٍ وفُرْقة ، فان أخلص المُصْلِحُ فى صلحِه ، ولم يُراعِ إلا الله فى عمله ، نزع له الشِّقاقَ المُسْتَحْكِم ، والداء المُسْتَفْحِل ، فى أقربَ من لَمْحِ البصر « إنْ يُرِيدا إصلاحاً يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا إن الله كان عليماً خبيراً » : « إنما أمْرُه إذا أراد شيئاً أن يقولَ له كن فيكون » وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه حثنا على التعاضد ، وأمرنا بالتناصر ، ورفع درجةَ المصلحين المخلصين ، على درجة المصلين والصائمين والمتصدّقين ، فصلواتُ الله وسلامُه عليه ، وعلى آله وأصحابه ، الذين سلكوا طريقه المستقيم ، وساروا وراء كتابِ الله المبين « أما بعد » فان الاصلاحَ بين المسلمين توجبُه أخُوَّتُهم ، وتَقْتَضِيه وَحْدتهم ، يدعو اليه كتابُهم ، ويحث عليه نبيهُم « إنما المؤمنون إخوةٌ فأصلحوا بين أخَوَيْكم واتقوا الله لَعَلَّكم تُرْحمون » جعلنا الاسلام كتلةً متماسكةً ، ويداً واحدةً ، فأيُّ عِداء بين فردين منا ، أو خصام فى جماعتين فينا ، مضِرٌّ بمصلحتنا ، مُريق لِدمائنا ، مُبَدِّدٌ لأموالنا ، مُضْعِفٌ لروح الدين فى نفوسنا ، كَمْ من نفوسٍ ضاعت

فى تقاتل الجماعات الاسلامية ، وكم من ممالكَ تُظِلُّها رايةُ الاسلام ، التهمتها الدول الغربية ، وقتَ كنامشغولين بالخصام ، نُحَكِّمُ فيناحدّ الحُسام ، لانرجع إلى كتاب الله فنتخذَ منه حكما عادلا ، ولا إلى عقولنا ومصلحتنا علّنا نجد فيها رادعا ، يحصل سوء تفاهم بين فردين أو أسرتين ، فنُهمِلُ أمرَه ، ونَستَصغِرُ شَرَره ، فلا يتحرّكُ المصلحون حتى يُرْفعَ الأمرُ إلى المحاكم ، فيعظمَ الشرر ، ويَكْبُرَ الخطب ، وهناك جائحةُ المال ، فالمحاكم تحتاج إلى رُسُوم ، والمحامون يطلُبون الأجر الباهظ ، والخصومُ يُنفِقُونَ فى التنقلات ، وعلى القائمين بالشهادات ، هنالك القاضيةُ على الذِّمم والأخلاق ، فتُنْكَرُ الحقوقُ الظاهرة ، وتَرُوجُ الشهاداتُ الكاذبة ، وتُخْلَقُ الحيلُ الباطلة ، ويُسْلَكُ كلُّ سبيلٍ للغلبة والظَفَر ، وإن كانَ سَبيلاً للشَّيَاطِين ، وكُفْراناً لِرَبِّ العالمين ، هنالك تقوم المشاجَرات ، وتشيَّد المنازعات ، ويَطْغى بعضهم على بعض ، فَتُقْلَعُ الزروع ، ويُحَرَّقُ المحصودُ ، ويُسَمُّ الحيوان ، وقد يُقتَلُ الانسان وكان مانعا دون هذا كلِّه كلمةٌ طيبة ، من نفسٍ مُوَقَّرَةٍ تقضِي على هذا الشقاق ، وتُحِلُّ محله الوئام والوفاق ، تَبْدُو بَوَادِرُ الشِّقاقِ بين الزوجين ، فَيُهْمِلُ شأنَها الأهلون ، فتزدادُ الثَّغْرَةُ ، وتنمو النَّفْرَةُ ، فاذا بالنفوسِ المُنْحَابَةِ المتصافية ، المتآلفة المتراحمة ، قد تحولت إلى نفوسٍ متباغضةٍ متعادِيَةٍ ، متفرقةٍ مختلفة ، قد لا يَفْصِلُ فى قضيتها إلا الفِراق ، وما أشدَّهُ جناية على الأخلاق ، إذا كان لأسبابٍ حقيرة ، أو لدواعٍ صغيرة ، وكان الحَكَمَانِ نعم الدواء لهذا الداء « وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا من أهلِه وحكماً من أهلِها إن يُرِيدا إصلاحاً يُوَفِّقِ الله بينهما »

أيُّها المسلمون لا تَدَعُوا فى ديار الاسلام فردين يتنازعان ، ولا فريقين يختصمان ولا حِزْبَيْنِ يَتَسَابَّانِ ويَقْتَتِلَان ، ولا أُسْرَتَيْنِ تَتَعَادَيان ، بل لِيَتَقَدَّمْ أولو الرأى فيكم ، وذوو المكانةِ منكم ، ولْيُقَرِّبُوا بين النفوس المُتَشَاكِسَةِ ، بما أوتُوا مِنْ حِكْمَةٍ ومارُزِقُوا من هيبة ، ولْيُرَاعوا فى الاصلاح أن يكونوا حكاما منصفين ، وقُضَاةً

عادِلين « وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ » وَلْيَكُنْ الإخلاصُ فى العمل مالِئاً نفوسَكم ، والرَّغْبَةُ فى الوفاق مالكةَ مشَاعِرَكمْ ، فان ذلك أنجحُ فى المهمَّة ، وأقربُ للبُغْيَةِ ، فان أبى الظالم إلا خصاماً ، فَشُدُّوا على يديه ، وخذوه بالقوَّة إلى حيث يرعى حُرُمات الله ، ويقيم حُدُودَه « وَإِنْ طَائِفَتَانِ من المؤمنين اقتتلوا فأصْلِحُوا بينهما فان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تَفِيءَ إلى أمر الله فان فاءتْ فأصلِحُوا بينهما بالعدل »

أيها المسلمون إن الخصومات مَشْغَلَةٌ للقلب ، مَدْعاةٌ للهم ، مَحْرَقة للدم ، مَضْيَعَةٌ للوقت فى غير مَجْدٍ ولا مفيد

وإن السَّعْىَ فى الصلْحِ ، والتسامُحَ فى الحق ، جالبٌ لرضاء الرب ، مُعْظِمٌ للأجر ، فلا تبيعوا مُلْكاً واسعاً بعَرَضٍ زائل ، ومال ضائع ، فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل

عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ألا أُخْبِرُكمْ بأفضلَ من درجة الصِّيام والصَّلاَةِ والصَّدَقَةِ ، قالوا : بلى قال : إصلاَحُ ذاتِ البين فان فسادَ ذاتِ البين هى الحالقة ـ رواه أبو داود والترمذى وقال : حديث صحيح . قال : وروى عن النبى ﷺ أنه قال هي الحالقة لاأقول تحالق الشعر ولكن تحلق الدين

النموذج الثالث

فى مُعَاشرة الأحيار ومخالطة الأشرار

« الآيات فى ذلك » « وإذا رأيتَ الذين يَخُوضونَ فى آياتِنا فأعْرِضْ عنهم حتى يخوضوا فى حديثٍ غيرِه ، وإما يُنسِيَنَّكَ الشيطانُ فلا تَقْعُدْ بعد الذِّكرَى مع القوم الظالمين ٦٨ وما على الذين يَتَّقُونَ من حسابهم من شىء ولكن ذِكْرَى لعلَّهم يتقون ٦٩ الأنعام »

« يا أيُّها الذين آمنوا لا تَتَوَلَّوْا قوماً غَضِبَ اللهُ عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفارُ من أصحاب القبور ١٣ الممتحنة »

« ولا تَرْكَنُوا إلى الذين ظَلَمُوا فتَمَسَّكُمُ النارُ وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تُنْصَرُون ١١٣ هود »

« واصْبِرْ نفسَكَ مع الذين يدعون ربَّهم بالغداة والعَشِيِّ يريدون وجهَهُ ولا تعدُ عيناك عنهم تريدُ زينةَ الحياةِ الدنيا ولا تُطِعْ من أغفلنا قلبه عن ذِكْرِنا واتَّبَعَ هواه وكان أمْرُهُ فُرُطاً (١) : ٢٨ الكهف »

«ومَنْ يَتَوَلَّ اللهَ ورسوله والذين آمنوا فإنَّ حِزْبَ اللهِ هم الغالبون ٥٦ المائدة »

« الأحاديث فى ذلك » عن أبى موسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : إنما مثَلُ الجليس الصالح والجليسِ السوءِ كحاملِ المِسْك ونافخِ الكِيرِ (٢) فحاملُ المسك إما أن يُحْذِيَك (٣) ، وإما أن تبتاعَ منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة : ونافخُ الكِيرِ إما أن يحرِقَ ثيابَك، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثةً ـ رواه البخارى ومسلم

عن أنسٍ رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ومثلُ الجليسِ الصالح كمثلِ صاحب المسك إن لم يُصِبْكَ منه شئ أصابك من ريحه ، ومثلُ الجليس السوءِ كمثلِ صاحب الكِيرِ إن لم يُصِبْكَ من سَوَادِهِ أصابك من دُخانه ـ رواه أبو داود

البحث العلمى فى الموضوع

من الأخيار ؟ هم الذين طهرت قلوبُهم ، وحسنت أخلاقُهم ، وصلحت أعمالهم كالذين يدعون ربَّهم بالغداة والعَشِيِّ يريدون وجهه ، وكالذين يَتَوَلَّون الله باتباع كتابه ، ورسولَه بالائتساء به فى أعمالِه وأخلاقِه ، والمؤمنين بمودَّتهم ومعونتهم ، والسعى فى جلب الخيرِ لهم ، ودفع الضَّرِّ عنهم : من الأشرار ؟

(١) مجاوزا فيه الحد (٢) كير الحداد المبني من الطين أو الزق الذى ينفخ به النار
(٣) يحذيك يعطيك

والأشرارُ بخلافهم كالذين يجادلون فى آياتِ الله بالباطل ويُحَرِّفونها عن مواضعِها ويحملونها على غير المراد منها إرواء لشهوة ، أو انتصاراً لنحلَة ، وكالذين يظلمون أنفسَهم بإهمالهم تعليمَها ، وعدم تعويدها مكارمَ الأخلاق ، ويظلمون غيرهم بالتعدى على حقوقهم انتقاصاً منها ، أو سلباً لها ، وكالذين غضب الله عليهم لِخُبْثِ طَوِيَّتِهم ، أو فسادِ عقيدتهم كالحادهم وانكارهم يوماً آخر يكافأ فيه المحسنُ على ما قَدَّمَ ، والمجرمُ على ما اجترح ، وكالذين غفلت قلوبهم عن ذكر الله ، ومن اتخذ إلٰهَه هَواه وتعدى حدود الله المشروعة

ما المرادبالمعاشرة ؟ معاشرة الأخيار أوالأشرار ، تكون بمساكنتهم ومجاورتهم والجلوس فى مجالسهم وأنديتهم والتروّضِ معهم ، والسفر بصحبتِهم ، ومشاركتِهم فى عمل من أعمال الحياة كتجارة أو صناعة أو زراعة

ثمرة المعاشرة — فى الانسانِ حُبُّ التقليد فهو يُحَاكِى من يخالطه ، فان خالط أصحابَ العقول الراجحة والأفكارِ الصالحة والأخلاقِ العالية والأعمالِ المجيدة سَرَى من كل ذلك إليه ، بل إذا طالت الصحبة ، وحَسُنَت العشرةُ وجدته قد طُبِعَ بطابَعِهم فلا يفترق عنهم فى شئ ، وكذلك من يخالط الأشرارَ يُدَنِّسُونَ نفسَه ويفسدون عقلَه ، ويُسِيئُون أدبه ، ويُعَرِّفونه من طرقِ الشر ما كان به جاهلا ، ومن بُؤَرِ الفساد ما كان عنه غافلا ، فهم شياطينُ يُرْشِدونه إلى كل نقيصةٍ ويَجُرُّونه إلى كل وقيعةٍ « ومن يَعْشُ عن ذكرِ الرحمن نُقَيِّضْ له شيطاناً فهولَهُ قَرِين وإنهم لَيَصُدونهم عن السبيل ويَحْسَبُون أنهم مهتدون حتى إذا جاءنا قال ياليت بينى وبينك بُعْدَ المشرقين فبئسَ القرينُ ولن ينفعَكم اليومَ إذ ظلمتم أنكم فى العذابِ مشتركون »

الخطبة أوالصوغُ الخطابى

الحمدُ لله أمر بمعاشرة الأخيارِ الأطهار ، ونَهى عن مُخَالطةِ المجرمين الأشرار إنماءً للخيرِ فى نفوسِنا ، وإبعاداً للشرِّ عن قلوبنا ، وربُّكَ المُرَبِّى الخبيرُ ، العليمُ الحكيم ، أشهد أن لا إله إلا هو : يَرْسِمُ لنا طرقَ التربيةِ الصحيحة ، ويَصِفُ

أدويةَ النفوسِ المريضة ، ولكنا مُعْرِضون عن رسمِه ، مُهْمِلون لوصفِه ، فساءت حالُنا ، وضَعُفَتْ أخلاقُنا ، وتمكَّنَ عاملُ الشرّ فينا ، وأشهد أن محمداعبدُه ورسوله علت منزلةُ أصحابه بعشرته واتِّباعِه ، والاقتداءِ به فى سيرته وصفاته ، فكانوا فى مقدّمةِ الأمة ، وكانوا لمن بعدهم خيرَ قدوة ، فصلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وصحبه البررة الأتقياءِ ، المخلصينَ الأوفياء

« أما بعد » فان النفُوسَ من شأنِها أن تَتأثَّرُ بمَنْ حَوْلها ، وتَنْشأ كالوسَطِ الذى يُحيطُ بها ، فان كان مَن حولها أناساً سَمَت مبادئُهم ، وشَرُفَتْ غاياتُهم ، وكَرُمت طباعُهم ، وعلت أخلاقُهم ، وحَسُنَتْ أعمالُهم ، كانت كذلك سامية المبدأ ، نَبيلةَ الغاية ، جميلةَ الطَّبْع ، طَيِّبَةَ الخُلُق ، صالحةَ العمل ، وان أحاط بها مجرمون ، أَثَمَةٌ فاسِدون ، لا يعرِفون الله ولا يذكرونه ، ولكن يعرفون الفساد وأربابَه ، والفسق وعشاقه ، لا يعرفون مساجدَ العبادة ، ولكن يعرفون دُورَ اللهوِ والخَلاعة ، لا يعرفون القرآن وآياتِه ، ولكن قصصَ الغرام وروايَاتِه : إن أحاط بها أولئك وزَيَّنوا لها سوءَ أعمالهم ، وقبيحَ صَنيعهم ، أصيبت بأمراضهم ، وتَدَنَّسَتْ من دَنَسِهم ، وأصبحت مَنْبَعَ جرائم ، ومصدرَ قبائحَ ومآثم

فالعاقل الحازم من يبحث عن النفُوسِ الطيبة ، الصَّفِيَّةِ الخَيِّرَة ، فيُسَاكنُها ويجاورُها ويُصاحبها ، ويلازمها ، يبحث عن مجالِسها وأنديتها ، فيَغْشَى ماغَشِيت ويذهبُ أنَّى ذهبت ، لتتصل روحُه بروحِها ، فيَسْتَقِيَ من مَعِينِها ، ويَتأدَّبَ بآدابها ، ويَتَخَلَّقَ بأخلاقها ، ويأتَسِيَ بها فى أعمالها « وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مع الذين يَدْعُونَ رَبَّهم بالغَدَاةِ والعَشِيِّ يريدون وجْهَه ولا تعدُ عيناك عنهم تُرِيدُ زينةَ الحياةِ الدنيا » أما النفوسُ الآثمة ، الكاذبةُ الظالمةُ ، المُلْحِدَةُ الغافلة ، التى اتخذت إلهَها هواها ، وإرواءَ شهواتها مناها ، وانغمست فى العصيان ، وَوَلَّتْ وجْهها نحو الشيطان ، وتركت سَبيلَ الرحمن — هذه النفوسُ حذارِ أن تقتربَ منها ، أو

تخالطها وتعاشرها ، أو تركنَ إليها فى أمرك ، أو تعتمد عليها فى شأنك ، فانكَ إن فعلتَ ألقتْ بكَ فى الهاوية . وأوْرَدَتْكَ ناراً حامية « ولا تَرْكَنُوا إلى الذين ظَلَموا فتَمَسَّكم النارُ ، وما لَكُمْ من دونِ اللهِ مِنْ أولياءَ ثم لا تُنْصَرُون » « وإذا رأيت الذين يَخُوضُونَ فى آياتنا فأعرِضْ عنهم حتى يَخُوضُوا فى حديثٍ غيره وإما يُنْسِيَنَّكَ الشيطانُ فلا تَقْعُدْ بعد الذِّكْرَى مع القوم الظالمين » « ولا تُطِعْ مَن أغفلنَا قلبَه عن ذكرِنا واتّبعَ هواه وكان أمرُه فُرُطاً » إنّ مَنْ يأنس إلى هذه النفوس ويَغْشَى مَجَالِسَها ، كمن يأنس إلى الحداد فيجلسُ فى مجلسه ، فاما أن يُحْرَقَ بناره ، وإما أن يُؤْذَى بريحه ، فلا يَعُودُ منه بخير ، ولكن يُصِيبُ منه كلَّ شر

يا هذا إن القرينَ السوء شيطانٌ وأيُّ شيطانٍ ، يَصُدُّكَ عن قصد السَّبيل ، ويَهْدِيك إلى سَواءِ الجَحِيم ، ويقولُ لك إذا ماوقفت معه بين يَدَىْ أحكم الحاكمين يومَ يقوم الناسُ لربِّ العالمين ، يقولُ لك فى هذا الموقفِ الرهيب ، الذى تبحث فيه عن الشُّفَعَاءِ والأنصارِ ، والخِلاّن والأنداد : ياليتَ بَيْنِى وبينَكَ بُعْدَ المَشْرِقَيْنِ فبِئْسَ القرينُ ، ثم يُلْقَى بِكُما فى نارِ جهنم ، تَصْلَوْنَ سَعِيرَها ، وتأكلون من زَقُّومِها ، وتَشْرَبون من حَمِيمها « ولَنْ يَنفَعَكُمُ اليومَ إذ ظَلَمْتُمْ أنّكُمْ فى العذاب مُشْتركون » فما أَجْدَرَكَ الآن أن تقولَ لصاحبِك المُضِلِّ دَعْ وَصْلِى ، وَابْعُدْ عنى يا ليتَ بَيْنِى وبينَكَ بُعْدَ المشرقين ، كَمْ من شبابٍ تَعِبَ فى تربيتهم الآباء والأمّهات وأنفقوا عليهم مئاتِ الجنيهات ، حتى نبتوا نباتاً حَسَناً ، وشَبُّوا أصفياء النفوس ، أطهارَ الأخلاق ، ولكن سَرْعانَ ماتحوّلت نفوسُهم المَلَكِيَّة ، إلى نفوس شيطانية لأنهم رَمَوْا بأنفسِهم فى الأوساطِ الموبوءة ، وخالطوا الفتيانَ المفتونة ، فأوردوهم موارد الهلكة ، حتى حَقَّتْ عليهم الكلمة ، وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون . فاتقوا الله ولازِموا الأخيار ، وتَجَنَّبُوا الأشرار ، تَسْعَدْ نُفُوسُكم وتَرْقَ أخلاقُكم ، وتفوزوا بجنةِ ربِّكم « إن الله مع الذين اتقَوْا والذين هم محسنون »

روى البخارى ومسلم عن أبى موسى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : إنما مَثَلُ الجليسِ الصالحِ والجليسِ السُّوءِ كحاملِ المسكِ ،ونافخِ الكيرِ ،فحاملُ المسْكِ إما أن يُحْذِيك، وإما أن تبتاعَ منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة :ونافخ الكيرِ إما أن يَحْرِقَ ثيابَك، وإما أن تجدَ منه ريحاً خبيثة

النموذج الرابع

إرْضَاء الخلقِ بما يُغْضِبُ الخالقَ

الآيات فى ذلك « أَتَخْشَوْنَهُمْ فاللهُ أحقُّ أن تَخْشَوْهُ إن كنتُمْ مؤمنين ـ ١٣ التوبة » « فلا تَخْشَوُا النَّاسَ واخْشَوْنِ ولا تَشْتَرُوا بآياتى ثمناً قليلاً ـ ٤٤ المائدة » « وتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أحقُّ أن تَخْشَاهُ ـ ٣٧ الأحزاب » « يَسْتَخْفُونَ من الناسِ ولا يَسْتَخْفُونَ من اللهِ وهُوَ مَعَهُمْ إذْ يُبَيِّتُونَ مالاَ يَرْضَى من الْقَوْلِ وكَانَ اللهُ بما يَعْمَلُونَ مُحِيطاً ـ ١٠٨ النساء »

الأحاديث فى ذلك « عن رجل من أهل المدينة قال : كتب معاوية إلى عائشة أن اكتُبى إلىَّ كتاباً تُوصِينى فيه ولا تُكْثِرِى علىَّ ، فكتبت عائشة إلى مُعَاوِيَةَ : سلامٌ عليك ، أما بَعْدُ فانى سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : من التَمَسَ رضا الله بسُخْطِ الناسِ كفاه الله مَئُونَةَ الناسِ . ومن التمسَ رضا الناس بِسَخَطِ الله وَكَلَهُ الله إلى الناس. والسلام عَلَيْكَ ـ رواه التِّرْمِذِىُّ ولم يُسَمِّ الرجلُ

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ من أسخَطَ الله فى رِضا النَّاس سخِط الله عليه وأسخَطَ عليه من أرضاه فى سُخْطه ، ومن أرضى الله فى سَخَطِ النَّاس رضى الله عنه وأرضى عنه من أسخَطَه فى رضاه حتى يُزَيِّنَ ويُزَيِّنَ قولَه وعملَه فى عَيْنِه » رواه الطبرانى باسناد جيد قوى

البحث العلمى فى الموضوع .

(١) يُرْضِى اللهَ فعلُ الطاعات وتركُ المحرمات

(٢) ويرضى الناسَ أن تفعلَ مايُحِبُّون ويشتهون وإن كان فى ذلك عصيان الله ، وتدَعَ ما يكرَهون ولا يَهْوُون وإن كان فى ذلك إرضاء الخالق والتقرب اليه

(٣) العاقلُ يَسْعى فى إرضاءِ الله ولا يَهُمُّهُ أن سخِطَ الناس عليه أم رَضُوا عنه ، لأنهم لا يملكون ضُرَّه أونفعَه إلا بشئ قد كتبه الله له فلِم يَسْعى فى مرضاتِهم بإغضاب مَنْ بِيَدِه كلُّ شئ ، ومن اليه وحده الضُّرُّ والنفع

(٤) رِضا الناس غايةٌ لا تدرك

(٥) من أغضب النَّاسَ ليرضىَ اللهأ كبروه آخر الأمر، وربما أحَبُّوه ورضوا عنه. لأنهم عرفوا فيه الثبات على المبدأ، وأنه إنما يخشى سلطاناً فوق سلطانهم

(٦) الحياة الدنيا مَحْدُودَةٌ ، والحياة الأخرى مَمْدُودَةٌ ، فأَرْضِ مَنْ بِيَدِه خيرُ الحيانين ، والسعادةُ فيهما دون من إذا نَفَعَكَ مرة ربما سعى فى ضررِك مرارا

الخطبة أوالصوغ الخطابى

الحمدُ لله ، جنتُه فى طاعتِه ، وناره فى معصيتِه ، ورحمتُه لمن آمن وعَمِلَ صالحاً ونِقْمَتُه لمن جَحَدَ به واقْتَرَف سَيِّئًا « إنه من يأتِ ربه مجْرِماً فان له جهنم لا يموتُ فيها ولا يَحْيى. ومَنْ يأتِه مؤمناً قد عَمِلَ الصالحاتِ فأولئك لهم الدرجاتُ العُلا. جناتُ عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تَزَكَّى » أشهد أن لا إله إلا هو ، بيده ملكوتُ كل شئ ، فان أراد إسعادَ عبدِه فهو السَّعِيد ، وإن سَعَى فى ضُرِّه كلُّ جبارٍ عنيد ، وإن أراد شِقوتَه فهو الشقيُّ الطريد ، وإن جَدَّ فى نفعه كل العبيد ، فأحكامُه النافذةُ ، وإرادتُه الماضيةُ « مَنْ ذا الذى يعصِمُكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أرادَ بكم رحمةً ، ولا يجدون لهم من دونِ اللهِ ولِيًّا ولا نصيرا » وأشهد أن محمدا عبدُه ورسوله ، جَدَّ فى الدَّعْوة إلى طاعةِ ربِّه ، ولم يبال بِعِدَاءِ

قومِه ،أرادوه على أن يتركَ الدعوة ، ويُخْلِصوا له المحبة والمودة ، فأبى إلا المُضِيَّ فى سبيلِها ، وإن كرِهوه ومقَتوه ، بل وإن آذَوْه وحاربوه ، فصلوات الله وسلامُه عليه ، وعلى آله وصحبه ، الذين عزَّروه ونصروه

« أما بعد » فان أحقَّ من نسعى فى مَرْضاته ، ونرجو برَّه وخيراته ، ربُّنا وإلهُنا ، الذى كلُّ شئ فى قبْضَتِه ، وكلُّ مخلوق فى ظل رحمته ، مَن بيَده المُلكُ والسلطانُ يعطيه مَنْ يَشاء ، ويَسْلبُه من يشاء « قل : اللهم مالكَ الملكِ تؤتى الملك من تشاء، وتَنْزِعُ الملك مِمَّن تشاء ، وتُعِزُّ من تشاء وتُذِلُّ من تشاء ، بيدك الخيرُ إنك على كل شئ قديرٌ »

أمَن هـذا شأنهُ وسلطانه نُرْضي فريقاً من خلْقِه ، بمخالفة أمره ، والسعى فى غضبه ؟ أمَنْ بيده قلوب الخليقة يُصَرِّفها كيف شاء نخشى الناسَ ولا نخشاه ؟ وما الناسُ إلا عبيد ضعفاء ، عَجَزة أذلاء ، يَدُ الله آخـذة بنواصِيهم ، وحُـكْمُهُ العدلُ نافذٌ فيهم

عجباً لقومٍ يتقرَّبُونَ إلى الرؤساءِ والعُظماءِ ، والـكُبَراءِ والأمراء ، يتقربون اليهم بفعلِ ما يحبون ويَشْتَهُون ، وإن أغضبوا بذلك ربهم ، واستوجبوا حرمان ثوابه ، وشديد عقابه ، يطلبون من وراءِ ذلك وظيفةً أو مالاً ، أوجاهاً وسلطاناً ، ومادَرَوْا أن الله قديحرِمهم مما رغبوه ، ويَمْنَعُهم فضلَه ورضوانه ، فلا دنيا أصابوا ، ولا دِيناً أقاموا « لبئس ما قدَّمت لهم أنفُسُهم أن سَخِط الله عليهم »

تجلسون إلى رئيس أو عظيم ، فَتُفيضون فى الحديث ، فاذا ما سَمِعْتُمْ منادياً يُنَادى للصلاة ، ويقول حيَّ على الفلاح ، فضلتم الاستمرار فى حديثكم ،على إجابة ربِّـكم ، بل ربما تماديتم فى اللهوِ والسَّمَر ، حتى يؤذِنَ وقتُ الصلاة بالخروج ، وإذا خرج فلن يعود ، فتفضلون مجاملة الجالسين ، على صلاة كتبها رب العالمين ، وضرب لها وقتاً محدودا « إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً » فالخلقَ تُرضون والربَّ تغضبون « والله ورسوله أحق أن يُرْضوه إن كانوا مؤمنين »

تجلسون إلى الأصدقاءِ والخِلان ، فينهشون الأعراض ، ويَتنابَزون بالألقاب يلعبون القمار ، ويشربون الحرام ، ويأتون فى ناديهم المنكر ، فمحافظةً على إحساسهم ومراعاةً لعواطفهم ، تُقرونهم على مافعلوا ، بل تُحَبِّذون لهم ماصنعوا ، وكان واجبا عليكم أن تنكروا عليهم آثامَهم ، أو تفارقوا مجالسَهم ، لعلهم يَرْعَوُون ويرتدعون وإلى ربهم تثوبون ويرجعون ، ولكن راعيتُمْ جانب العبد ، وأهملْتم جانب الرب أهكذا يكون إيمانكم ، الذى زعمتموه بألسنتكم ، ولمَّا يدخلْ فى قلوبكم ، يندبكم الرئيسُ إلى عملٍ يتقربُ به إلى رؤسائه ، وقد يكون العملُ إثارةَ فتنة ، أو مَجْلبَة مِحْنة ، قد يكون انتقاصاً لحق ، أو تعذيبا لخلق ، فتبادرون بتنفيذ أمره ، والعمل بإشارته ووحيه ، وإن كان فى ذلك إهلاك الحرثِ والنّسل ، ونشرُ الفساد فى الأرض ، فأوامر الرؤساء تُقَدَّسون ، وأوامر الله تدوسون ، إشاراتُ الرؤساء تُنَفَّذون ، ونصوص الله تُعَطَّلون ، وحيُ الرؤساء تفهمون ، ووَحيُ الله لاتفقهون ، ثم تزعمون بعدَ هذا أنكم بالله مؤمنون ، ولرسوله محترمون ، وبكتابه عاملون ، والله يشهد إنكم لمغرورون

علامة الايمان الحق ، أن تفعل ما يُرْضى الرب ، وإن أسخط الخلق ، علامة الايمان الحق ، أن تكون أوامره أوّلَ ما تَسْمَع ، ونواهيه فى مقدّمةِ ما تَدَع « ياأيها الذين آمنوا لا تُقَدِّموا بين يَدَيِ الله ورسوله واتّقوا الله إنّ الله سَميعٌ عليم »

أيها الناس مَنْ سَعَى فى مرضاة الله بإغضاب غيره ، كان الله فى عونه ، وكفاه شرَّ خلقه ، ومَنْ سَعَى فى مرضاة غيره باغضاب رَبِّه ، حَجَبَ عنه عونه ، وتركه ونفسَه فاتقوا الله حقَّ تقاته واسْعَوْا فى مرضاته واخْشَوْه وحده ، ولا تَخْشَوْا خلقه « أتَخْشَوْنهم ؟ فالله أحَقُّ أن تَخْشَوْهُ إن كنتم مؤمنين »

روى الترمذىُّ عن رجلٍ من أهل المدينة قال : كتب معاويةُ إلى عائشة أن اكتبى إلىَّ كتاباً تُوصِينى فيه ولا تُكثرى علىَّ . فكتبت عائشة إلى معاوية : سلامٌ عليك : أما بعدُ فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول : من التمسَ رضا الله بِسَخَطِ النَّاسِ ، كفاه الله مئونة الناس ، ومن التمس رضا الناس بِسَخَطِ الله ، وكله

لله إلى الناس

النموذج الخامس

الترغيبُ فى العدلِ والترهيب من الظلم

(الآيات فى ذلك)

« إن الله يأمر بالعدلِ والاحسانِ وإيتاءِ ذى القُرْبَى و ينهى عن الفحشاءِ والمنكرِ والبَغْيِ [1] يعظكُم لعلكم تذكَّرون ـ ٩٠ النحل »

« و إن طائفتانِ من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بَغَتْ إحْداهما على الأخرى فقاتلوا التى تَبْغى حتى تفىء إلى أمر الله فان فاءتْ فأصْلِحُوا بينهما بالعدلِ وأقْسِطُوا إنَّ الله يُحِبُّ المقسطين ـ ٩ الحجرات »

« يا أيُّها الذين آمنوا كونوا قوَّامين بالقِسْط شهداء لله ولو على أنْفُسِكُم أو الوالدينِ والأقربينَ ـ ١٣٥ النساء »

« يا أيها الذين آمنوا كونوا قوَّامين لله شهداء بالقِسْط ولا يَجْرِمَنَّكُمْ شنآنُ قوم على أنْ لاَ تعدلوا [2] اعْدِلوا هو أقربُ للتقوى ـ ٨ المائدة »

« و إذا قُلْتُمْ فاعدلوا ولو كان ذا قُرْبَى و بعهد الله أوفوا ـ ١٥٢ الأنعام »

« وأُمرتُ لِأعْدِلَ بينكم ـ ١٥ الشورى »

« الأحاديث فى ذلك »

« عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : سَبْعَةٌ يُظِلُّهم الله فى ظلِّه يوم لا ظِلَّ إلا ظلُّه إمامٌ عادلٌ ، وشابٌّ نشأَ فى عبادة الله ، ورجلٌ قلبُه مُعَلَّقٌ بالمساجد ، ورجلان تَحَابَّا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجلٌ دَعَتْه امرأةٌ ذاتُ

(١) الفحشاء المعصية التى عظم ضررها . والمنكر ما أنكره الناس لقبحه. والبغى الخروج عما ينبغى
(٢) أى لا يحملنكم بغضكم لقوم على ترك العدالة

مَنْصِب وجمال فقال إنى أخاف الله ، ورجلٌ تصدَّق بصدقة فأخفاها حتى لاتعلم شماله ما تُنفِقُ يمينه ، ورجلٌ ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ـ رواه البخارى ومسلم

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ ثلاثةٌ لاتردُّ دعوتُهم : الصائمُ حتى يُفْطِر ، والامامُ العادلُ ، ودعوةُ المظلوم يرفعُها الله فوق الغمام ، ويفتح لها أبواب السماء ، ويقولُ الربُّ : وعزتى لأنصرنَّكَ ولو بَعْدَ حين ـ رواه أحمد

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : قال رسول ﷺ إن المُقْسِطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يَعْدِلُون فى حكمهم وما وُلُّوا ـ رواه مسلم والنسائى

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ يوم من إمام عادل أفضلُ من عبادة ستين سنة ، وحدٌّ يقامُ فى الأرض بحقه أزكى من مطر أربعين صباحا ـ رواه الطبرانى فى الكبير باسناد حسن

وعن أبى سعيد الخُدْرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ أحبُّ الناسِ إلى الله يومَ القيامة وأدناهم منه مَجْلِساً إمامٌ عادل ، وأبغض الناس إلى الله تعالى وأبعدُهم منه مَجْلِساً إمامٌ جائر ـ رواه الترمذى وقال : حسن غريب

وعن ابن عمر رضى الله عنه قال : كنا عند رسول الله ﷺ فقال : كيف أنتم إذا وقعت فيكم خَمْسٌ وأعوذُ بالله أن تكون فيكم أو تدركوهن ، ماظهرت الفاحشة فى قوم يُعْمَلُ بها فيهم عَلانِيَةً إلا ظهر فيهم الطاعونُ والأوجاعُ التى لم تكن فى أسلافهم ، وما منَعَ قومٌ الزكاة إلا مُنِعوا القَطْرَ من السماء ، ولولا البهائم لم يُمْطَروا ، وما بَخَسَ قومٌ المكيال والميزان إلا أُخِذُوا بالسنين (١) وشدة المؤونة وجَوْر السلطان ، ولا حكم أمراؤهم بغير ما أنزل الله إلا سلَّط عليهم عدُوَّهم فاستنفدوا بعض مافى أيديهم ، وما عطلوا كتاب الله وسنةَ نبيه إلا جعلَ الله بأسَهم بينَهم ـ رواه البيهقى والحاكم بنحوه من حديث بُرَيْدةَ وقال : صحيح على شرط مسلم

(١) أى بالقحط

وعن مَعْقِلِ بن يَسَار رضى الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : ما من عبدٍ يسترعيه اللهُ عز وجل رعيةً يموت يوم يموت وهوغاش رعيته إلاحَرَّم الله تعالى عليه الجنة ، وفى رواية : فلم يَحُطْها بنصحه لم يَرَحْ [1] رائحة الجنة ـ رواه البخارى ومسلم

وعنه أيضا أن رسول الله ﷺ قال : من وُلِىَ أمةَ [2] من أمتى قلّت أو كثُرَت فلم يَعْدِل فيهم كبَّه الله على وجهه فى النار ـ رواه الطبرانى فى الأوسط من رواية عبد العزيز بن الحُصَيْن وهوواه

وعن معاوية رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لا تُقَدَّسُ أمةٌ لا يُقْضَى فيها بالحق ولا يأخذ الضعيفُ حَقه من القوىِّ غير مُتَعْتَعٍ [3] ـ رواه الطبرانى ورواته ثقات

وعن ابن أبى أوفى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إن الله مع القاضى ما لم يَجُرْ فاذا جار تخلى عنه ولزمه الشيطان ـ رواه الترمذى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه

وروى ابن ماجه والبزّار واللفظ له : السلطانُ ظِلُّ اللهِ تعالى فى الأرض يأوى اليه كلُّ مظلوم من عبادِه، فان عَدَل كان له الأجرُ، وكان على الرعيةِ الشكر، وان جار أو حاف أو ظلم كان عليه الوِزْرُ وعلى الرعيةِ الصَّبْر ، واذا جارت الولاة قَطَت السماء، وإذا مُنِعَتِ الزكاةُ هلكت المواشى ، وإذا ظهر الزنى ظهر الفقر والمَسْكَنَةُ واذا أُخْفِرَتِ الذِّمَّةُ [4] أُدِيلَ الكفّارُ [5]

البحثُ العِلْمِىُّ فى الموضوعِ :

(١) العدل إعطاء كلِّ ذى حقٍّ حَقَّه فهو مساواةٌ بين الناس جميعا فى إعطاء الحقوق ، والظلمُ انتقاص الحقوق

(١) من راح يراح فيكون بفتح الراء أو من راح يريح فيكون بكسرها والمعنى لم يجد
(٢) أى جماعة (٣) أى من غير أن يصيبه أذى يقلقه ويزعجه
(٤) أى نقضت (٥) أى غلبوا غيرهم

(٢) أمر الله بالعدل فى كل الأمور ونص منها على ماهو مظنة الظلم كالاصلاح بين المتقاتلين والشهادة على النفس أو الوالدين أو الأقربين ومعاملة الأعداء

(٣) لأنّ بالعدل نظامَ للملكِ ،وعَدَ الله العادلين بما يأتى

(١) محبته لهم (٢) إجابته دعاءهم (٣) رفع درجتِهم على درجة العُبَّاد إذا كانوا أئمة (٤) معونته لهم وتيسيرهم طريق الارشاد (٥) شكر الناس لهم (٦) إظلالهم بظلِّ العرش يومَ القيامة (٧) جلوسهم عن يمين الرحمن مع اقترابهم به (٨) الأجرُ العظيم فى الجنة

(٤) ثمرة العَدْلِ وضَرَرُ الظلم

بالعدلِ يعيش الأفراد والجماعات عيشة راضية

عدلُ الحكام مَدْعاةٌ للعدل بين جميع الطبقات ولذا كان العدل منهم فى الدرجة الأولى وكان الظلم منهم شرَّ أنواع الظلم لأن الرعية كُلَّها تحت أيديهم فالخير منهم يَعُمُّ ، والشر منهم يَطُمُّ

العدلُ إذا عَمَّ أمةَ استغنت عن المحاكم وقضاتِها وموظفيها ومحاميها وسماسرتها بل أكثرُ الحكام وظيفتُهم إقامة العدالة فان كانت فلا حاجة اليهم ، و بذلك توفر على الأمة عدداً كبيراً يشتغل فى مصالح أخرى ، وتقتصد مقداراً كبيرا من مالِ الحكومة ومن مالِ الأمة

الظلم إذا انتشر فى أمة فقدت عزها وسلطانها

« « « « « سلط عليها عدوُّها فاحتل بلادَها وسلبها سلطانها وانتزعَ أموالها

الظلم مما يمنع رحمة الله وخيراته عن الناس

« يرفع الطمأنينةَ والامن على النفس والمال

« منشأ العداوات والاحقادِ والخصومات

« « الرشوةِ والشفاعة بالحق و بالباطل

الظلم قاتل للكفايات، وميت لحرية الافكار ،وداع لعدم الاحسان فى الاعمال

« ظلماتٌ يوم القيامة (ولا تَحْسَبَنَّ اللهَ غافلا عما يعملُ الظالمون إنما يُؤَخِّرُهم ليومٍ تَشْخَصُ فيه الأبصارُ مُهْطِعين (١) مُقْنِعى رءوسهم (٢) لا يَرْتَدُّ إليهم طَرْفُهم وأفئدتُهم هَوَاءٌ)

الخطبة أو الصَّوْغُ الخطابي

الحمد لله أقامَ بالعدلِ نظامَ ملكه ، وجعله سبيلَ عطفِه وبرِّه ، فأمر باعطاء الحقوقِ لأربابها ، ونهى عن منعِها أو انتقاصِها ، ووعد على ذلك بمحبتِه ومعونتِه ورحمتِه وجنتِه ،إنه كان وعْدُهُ مَأْتِيًّا ، وما كان رَبُّكَ نَسِيًّا : أشهد أن لا إله إلاهو لا بُدَّ منتقمٌ من الظالمين ، إمَّا فى الحياةِ العاجلة ، أوفى الحياةِ القابلة « ولا تَحْسَبَنَّ الله غافلاً عما يَعْمَلُ الظالمون إنما يُؤَخِّرُهم ليومٍ تشخَص فيه الأبصار » وأشهد أن محمداً عبدُه ورسوله عدَلَ بين رعيتِه ، وأنصفَ فى قضيتِه ، فأمَّنَه العدْل ولاذ إليه الخصْم ، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبِه ومن اقتفى أثرهم من الحكام المقسطين ، والقضاة المنصفين

« أما بعد » فالسعيدُ من عدَل ، والشقيُّ من ظَلَم ، العادلُ راضية عنه نفسُه راض عنه قومُه ، مُحِبٌّ له ربُّه ، الظالم إن كان له ضميرٌ وخَزَهُ كلَّ ساعةٍ وأنَّبهُ فنفسُه به شَقِيَّة ، والرعيةُ منه فى بليَّة، عقابُ الله له بالمرصاد ، فى الدنيا زوالُ السُّلطان وخرابُ الديار ، وفى الآخرة النارُ ، و بئس القرار ، العادل لا يرعى إلا الله فى عمَله ، فلا يُحَابِي أحداً من خلقه ، فان دُعِى إلى الشهادة أقامها بالقسطاس المستقيم ، ولو على نفسِه أو الوالدين والأقربين ، لايفرق فيها بين العدوّ والحميم ، و إن دُعِى إلى مَنَصَّة القضاء، استضعفَ الظلمةَ الأقوياء، حتى ينتصرَ منهم للضعفاء ، لايُفَضِّلُ خَصْماً لماله ، ولامركزه وجاهِه ، ولا لانتمائه لحزبه ، واعتناقه لمبدئه ورأيه ، بل كل الخصوم

(١) مسرعين (٢) رافعى رءوسهم

أمامه سواء حتى يقضيَ بينهم بالحق ، ويُعْطِيَ كُلاًّ مااستحق، إن دُعِيَ إلى ولاية أو إمارة ، أو رياسة أوإدارة ، سلك فيمن تحت يده سبيلَ العادلين ، ولم تَأْخُذْه فيهم لومةُ اللائمين ، ولا شفاعةُ الشافعين ، ولارِشَا الراشين ، ولا سطوة الحاكمين بل سلطان الله قائمٌ فى نفسِه ، لا يخضع إلا لأمرِه ، ولا يعْمَلُ إلا بوحيه ، فيَدُ الله تُؤَيِّدُه ، وجندُه يمُدُّه ، أولئك عباد الله المخلصون ، أولئك حِزْبُ اللهِ المفلحون أولئك الذين تقوم بهم الدولة، وتعز بهم الأمَّة، فتعيش عيشةً راضية ، أفرادُها وجماعاتها فقراؤُها وأغنياؤُها ، ضعفاؤُها وأقوياؤُها ، يعيشون على أنفسهم مطمئنين ،وعلى أموالهم وأعراضِهم آمنين ، فيتمتعون بما أوتوا فى الحياة متاعاً طيباً ، ويَنْعَمُون فيها نعيما صافياً

أما أولئك الظَّلَمَةُ العتاة ، الطغاةُ البغاةُ ، فاذا بليت بحكمِهم أمة ، وأصبحت لهم السيطرة والكلمة ، أصبح منهم الحقير والعمدة ، ومن يليهم فى الرتبة ، إلى أكبر مناصب الدولة، إذا بليت الأمة بأولئك رفع الله يدَه عن معونتِها ،وسلَّطَ عليها من يجِدُّ فى شقوتها ، يحتل ديارَها ، ويسلبُها أموالهَا ، ويُهين كرامتها ، بل ويطأ بنِعليه هامتها، إذا بُلِيَتْ الأمة بأولئك سادت فيها المنازعات ، وكثرت بين أفرادها الخصومات ، فتَغُصُّ بهم النيابات والمحاكم ، وتملأ بهم الأقسام والمراكز ، فيشغلون النيابة ووكلاءها ، والمحاكم وقضاتَها ، والإدارةَ ورجالهَا ، يَشْغَلُون كُلَّ أولئك عن مصالح أخرى هى أجدر بالرعاية ، وأولى بالعناية ، ولا تنسوا ما ينفقه الخصوم للوكلاء والمحامين ، والسماسِرة والكاتبين ، أملا فى الفوز على خصمهم ، ونصرِ باطلِهم أو حقهم ، فانه مالٌ كثير . إذا أضفناه إلى ميزانيةِ المحاكم كان المقدار جسيما ، والرقم عظيما ، فلو كنا عادلين ، لكنا لهذا المال مُقْتَصِدِين ، ننفقه فى شؤوننا الأخرى ، ومصالحنا العظمى ،ألا يَعْرِفُ الظالم ما تجني يداه ، وأنه سوف يندم فى أخراه، ويقول : « يا حسرتا على ما فَرَّطْتُ فى جنبِ الله » ألا يعرف أنه بظلمه يقتلُ الكفايات ، ويميت الحريات ، ويضعفُ روح الإجادة فى الأعمال ،

ويقلّلُ الاحسان فيها والاتقان، ألم يعرفْ أن الظلم ظلماتٌ يومَ القيامة ، وأنه نارٌ وقودها الناسُ والحجارة ، إن كنت ياظالم لا تَرْعوِى بالتحذير والانذار فاسمع جزاء الله للعادلين، علَّ قلبك يَخْشَع،وفى ثواب الله تَطْمَع، كتب اللهلَيُحِبَّنَّهم ، ولَيُجِيبَنَّ دعاءهم،ولَيرفعَنَّ درجتهم على درجة العابدين ، ولَيكْرِمَنَّ لهم نعم النصير والمعين، كتب اللهأنه مُظِلُّهم يومَ القيامة بظلِّ عرشِه ، وأنه مُجْلِسُهُم عن يمينه بقربه، وأن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ، فاسمع ياظالم جزاء العادلين ، عسَى أن تكون من التائبين ،عسى أن تقول : اللهم اهْدِنى سَوَاء السبيل ربَّنا ظلمنا أنفسَنا وإن لم تَغْفِرْ لَنَا وتَرْحَمْنا لنكونَنَّ من الخاسِرين

روى الطبراني عن معاوية رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لاتُقَدَّسُ أمةٌ لا يُقْضَى فيها بالحق، ولا يأخُذُ الضعيفُ حقَّه من القوى غير مُتَعْتَع

وروى أحمد عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ ثلاثةٌ لاتردُّ دعوتُهم الصائمُ حتى يُفطر ، والامامُ العادل ، ودعوةُ المظلومِ يرفعُها اللهُ فوق الغمام ويفتح لها أبوابَ السماء ويقول الرب : وعزتى لأنصرَنَّك ولو بعد حين

النموذج السادس

فى الحشيش والأفيون والكوكايين والهروين الخ

الآيات فى ذلك

« ولا تُلْقُوا بأيديكم إلى التَّهْلُكة وأحْسِنُوا إن الله يحبُّ المحسنين ـ ١٩٥ البقرة »

« ولا تَقْتُلُوا أنفُسَكم إنّ الله كان بكم رحيما ـ ٢٩ النساء »

« يا أيها الرُّسُلُ كلوا من الطيّبات (١) واعمَلوا صالحا إنى بما تعملون عليم ـ ٥١ المؤمنون »

(١) ما يطيب بها الجسم والنفس . والخبائث ضدها

« الذين يَتَّبِعون الرسولَ النبيَّ الأمِّيَّ الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والانجيل يأمُرُهم بالمعروفِ وينهاهم عن المنكرِ ويُحِلُّ لهم الطيباتِ ويُحَرِّمُ عليهم الخبائثَ ويَضَعُ عنهم إصْرَهم (١) والأغلالَ (٢) التى كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعَزَّرُوه (٣) ونَصَرُوه واتّبعوا النورَ الذى أُنْزِلَ معَهُ أولئك هم المفلحون ـ ١٥٧ الأعراف »

« ولا تَتَبَدَّلُوا الخبيثَ بالطيب ـ ٢ النساء »

« يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ـ ١٧٢ البقرة »

« فكلوا مما رزقكم اللهُ حلالاً طيِّباً ـ ٨٨ المائدة »

الأحاديثُ فى ذلك

عن أم سَلمةَ رضى الله عنها قالت : نهى رسولُ الله ﷺ عن كُلِّ مُسْكِرٍ ومُفْتِرٍ ـ رواه أحمد فى مسنده وأبو داود فى سننه بسند صحيح

عن ابنِ عبَّاس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ لا ضَرَرَ ولا ضِرَارَ (٤) ـ رواه أحمد وابن ماجه باسناد حسن

البحث العلمى فى الموضوع

(١) أحل الله الطيبات وحرم الخبائث ، والطيِّبُ كل ما نفع الجسم والروح والخبيث كل ما أضرّ بهما ، فيدخل تحته الحشيشُ والأفيون والكوكايين والهِروين والإرْوِين وما شابهها

(٢) تناولُ هذه الأشياء قتل تدريجى للنفس وإلقاء بها إلى مهاوى الهلاك

(٣) هذه الأشياء متْلَفَةٌ للمال ومتناولوها يبيعُون فى سبيلها كل ما وصلت اليه أيديهم ولو متاعَ بيتهم ولباسَ جسمهم ، وكثيرا ما يسلُبون ويسرِقون ليسُدُّوا شهوتهم والانفاق فيها ليس له حد ، فهى تفنى الثروة الكثيرة فى الزمن القليل ، ويكفيك أن تعرف أن موظفا مولعا بالكوكايين لما أن أفنى ماله احتال على أبيه ليأخذ أثاثه بحجة أنه منقول

(١) حملهم وثقلهم ٢) القيود (٣) عظموه (٤) أى لا تضر نفسك ولا غيرك

إلى بلد آخر ، فلما أن وضع المتاع على العربات ، أخذه وباعه فى الأسواق ليشترى بثمنه هذه المهلكات ، ولما نفد الثمن باع بذلته ورجع إلى أهله بقميص وسِرْوَال

(٤) هذه الأشياء تناوُلُها يؤثر على المخ وينتهى الأمر فيها بالجنون ، ومنها ما يُؤَثِّرُ على الأنف حتى يسقط طَرَفُه ويتشوهَ جمال الوجه

(٥) المتجرّ فى هـذه الأشياء وشامّها أوآكلها يعاقب عقاباً صارماً من يد القضاء العادل

(٦) لِمَ نستبدل الخبيثَ بالطيِّبِ والطيِّبُ كله خير ، فهو صحةٌ للجسم منعشةٌ للنفس ، مذكاةٌ للعقل

(٧) متناولو الكوكايين الخ يبدلون خَلْقَ الله ، فالليلُ الذى جعله اللهُ سَكَناً ولباساً ونوماً يَقْضُونه ساهرين ، ويا ليت سهرهم فى عملٍ نافع ولكن يتنقلون فى دورِ الفسادِ ، ويَغْشَون مواطنَ الهلاك ، حيث انتهاكُ الأعراض ، وقتلُ الأخلاق ، أما نهارُهم فنوم فيعطِّلون مواهبَهم عن الاستثمار ، ونتيجة ذلك فقرٌ في الدنيا وشقاء فى الأخرى

الخطبة أو الصوغ الخطابى

الحمد لله أحلَّ الطيبات ، من مأكولاتٍ ومشروباتٍ ومشمومات ، وحثنا على تناولها ، وتغذية الجسم والنفس بها ، وحرَّمَ علينا الخبائثَ المضرة ، التي تَفْتِكُ بصحتِنا ، وتضر بعقولنا ، وتذهبُ بأرواحِنا ، « يا أيها الذين آمنوا كلُوا من طيِّبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تَعْبُدُون » « قل إنما حرَّم ربي الفواحشَ ما ظهرَ منها وما بَطَنَ »

أشهد أن لا إله إلا الله يَعْلَمُ ما يُصْلِحُ النفوس وما يُفْسِدُها ، وما يُشقيها وما يُسْعِدُها ، يصفُ لكل مرضٍ دواءهُ الناجع ، وشفاءه القاطع ، فسبحانه هو العليم الحكيم ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، نهانا عن الضرر والضِّرار ، وما فيه إسكارٌ أو إفتَار ، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه الأخيار ، الذين غذَّوْا أجسامَهم بطيب الطعامِ والشراب ، وأرواحَهم وعقولَهم بآى الكتاب

« أما بعد » فان الله لم يَدَعْ طيّباً إلا أحلّه لكم ، ولا خبيثاً إلا حرّمه عليكم فكان واجبا عليكم أن تقفوا عند ما أحل ، ولا تعدُوه الى ماحرم ، ولكنّ الحلالَ تركتم ، والخبيثَ تناولتم ، فسلّط الله عليكم جيشاً من الامراض الوبيلة يُضْعِفُ أجسامكم ، ويسلب عقولكم ، ويُبَدِّدُ أموالكم ، وربما استل نفوسكم من أبدانكم فقدتم الحياة التي هي رأسُ مالِكم ، وأعزّ الأشياء عليكم

هل يليقُ بقومٍ زعموا الاسلام ، وآمنوا بالقرآن ، وصدّقوا بحكمة الرحمن ، هل يليق بهم أن يدخلوا فى حزب المجانين ، ويكونوا من القتلة الظالمين ، وكيف لا يكون قاتلَ نفسه ، وساعيا فى دخول رمسه ، من يتناول هادم الصحة ، ومحلِّل البِنْيَة الحشيشَ والكوكايين ، والأفيون والهِروين ، فان كان القتل فى نظره جريمة شنيعة والانتحار جناية فظيعة ، فها هو ذا قاتل وإن كان قتله بطيئا ، وإنه لمنتحِر وان كان انتحارُه تدريجا

يا من تشم الكوكايين ، أترضى أن يكون لك رأسٌ بلاعقل ، ودماغٌ بلا مخ ووجهٌ بلا أنف ، و بشرةٌ بلا جَمال ، ويدٌ بلا مال ؟ أترضى أن تكون فى عِداد الفقراء المتسكِّعين ، بعد أن كنت فى عِداد الأغنياء المحترمين ؟ أترضى لنفسك إسرافاً تبيع فيه البيت وما حوى ، فتصبح بلا متاعٍ ولا مأوى ، أترضى إسرافاً تبيع فيه ثوبَ يستر عورتَك ، ولباساً يوارى سوأتك ، لقد رضيت بكل ذلك حين دَخَلْتَ فى زُمرَةِ الحشاشين ، الشَّمّامين للهِروين والإرْوين

يا هذا قد جعلَ الله الليل سَكَناً ولِباساً ، والنهارَ حركةً ومعاشاً ، فلم تُغَيِّرُ خلقَ الله ؟ وتُبدِّلُ نظامَه ، وهو الحكيم الخبير ، تَشُمُّ الكوكايين لِيَتَنَبَّهَ حِسُّك و يَسْهَرَ ليلُك ويطولَ أنْسُك ، يطولُ فى التمتعِ بالشهوات ، والانغماس فى المحرمات ، وما الشهوات الآثمة إلا هَدْمٌ للأبدان ، وقتلٌ للأخلاق ، ووأد للأعراض ، فاذا هدمت جسمَك ، وقتلت شرفَك ، وهتكت عِرْضك ، فأيّ حياةٍ تعيش وأيّ شهوة تروم ، وأىّ نعيم تبغى وقد أصبحت في مقابر الأحياء إن لم تكن بين الرِّمَمِ البالية ، والعظام الناخرة

يا هذا إن عينَ الحكومة ناظرةٌ إليك ، ويدَ الادارة لا بدَّ قابضةٌ عليك وستقِفُ بك فى موقفِ المجرمين، لتنال جزاءك العادل ، وعقابَك الصارم ، وسيزج بك فى السجون ، لتذوق العذابَ الهُون ، وما تُجْزَوْن إلا ما كنتم تعملون

يا هـذا إن كانت عقوبة الدنيا حقيرةً فى نظرك ، لا تَرْعَوِى بها عن غيِّك فاعلم أن الله مُحاسِبُك وسائلُكَ ، عن عُمرك فيم أفنيتَ ، وشبابك فيم أبْلَيْتَ، ومالِكَ فيم أنفقت ، فماذا تجيبُ ياحشاش ياشمام ، وعلى كلٍّ ذلك جَنَيْت ، وفى سبيلها أسرفت الحسابُ عسير ، والموقف رهيب ، واللسانُ معقود لايجيب ، هذا إن كنت باليوم الآخرِ مؤمنا ، فان كنت بالله ملْحِداً ، وبالجزاء كافرا ، فانتظر حتى يأتيك الحقُّ اليقين ، وترى بعينِك عذاب الجحيم ، فتقول : ياليتنا نُرَدُّ ولا نُكذَّبَ بآياتِ ربِّنا ونكونَ من المؤمنين ، بَلْ بَدَا لَهُمْ ما كانوا يُخْفُونَ من قبلُ ولو رُدُّوا لعادُوا لما نُهُوا عنه وإنَّهم لكاذبون ، وقالوا : إن هى إلا حياتُنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ، ولو ترى إذ وُقفوا على ربهم قال: أليس هذا بالحق قالوا : بلى وربِّنا قال : فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون

روى أحمد وأبو داود عن أمِّ سلمة رضى الله عنها قالت : نهى رسول الله ﷺ عن كلِّ مُسْكِرٍ ومُفْتِرٍ

وروى أحمد وابن ماجه عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ لاضرر ولاضرار

١
خطب عصرية

آثار المساجد فى إصلاح الامة (١)

الحمد لله يَجْزِى كلَّ امرئٍ بما عمِل ، فمن عمِل صالحاً فله جزاء الحُسْنَى ، ومن عمِل سَيِّئاً فله سوء العُقْبى « وأنْ ليسَ للإنسانِ إلاّ ما سَعَى ، وأن سَعْيَه سوف

(١) ألقيت هذه الخطبة فى افتتاح معالى وزير الأوقاف لجامع الخازندارة بشبرا مصر فى يوم الجمعة ٨ شعبان سنة ١٣٤٥ هـ الموافق ١١ فبراير سنة ١٩٢٧ م — ويعد ذلك الجامع من أهم جوامع القاهرة نظاما وموقعا واتساعا